إلى المواجهة

ذكريات د. عدنان مسودي

عن الإخوان المسلمين في الضفة الغربية وتأسيس حماس

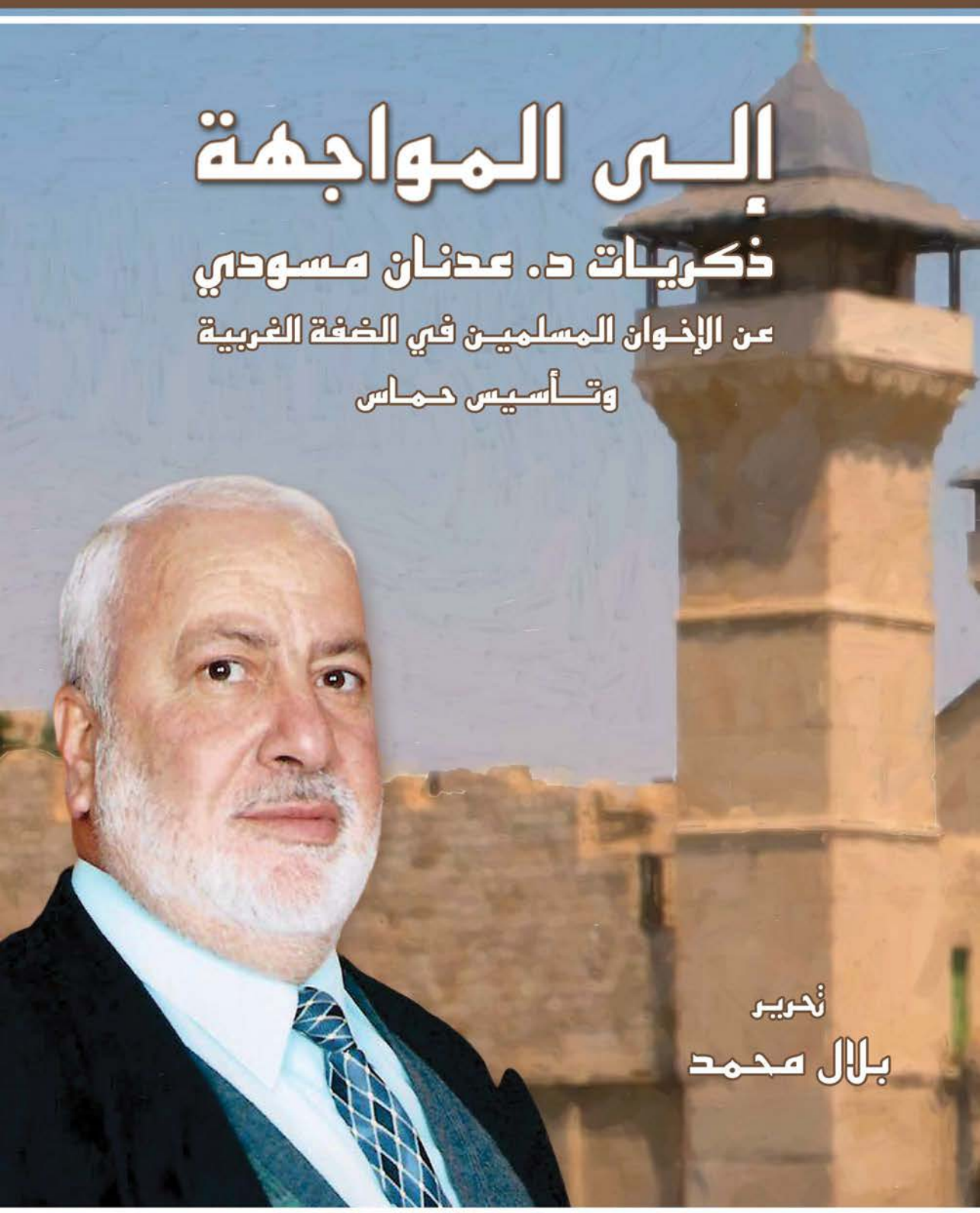

تحرير
بلال محمد

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى المواجهة

ذكريات د. عدنان مسودي

عن الإخوان المسلمين في الضفة الغربية وتأسيس حماس

تحرير

بلال محمد

مركز الزيتونة
للدراسات والاستشارات
بيروت - لبنان

Towards Confrontation: Memoirs of Dr. Adnan Maswady Regarding the Muslim Brotherhood in the West Bank & the Founding of Hamas

Edited by:
Bilal Mohammad

جميع الحقوق محفوظة ©
2013م – 1434هـ
بيروت – لبنان

ISBN 978-9953-572-17-8

يُمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك التسجيل الفوتوغرافي، والتسجيل على أشرطة أو أقراص مدمجة أو أي وسيلة نشر أخرى أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطّي من الناشر.

(الآراء الواردة في الكتاب لا تُعبّر بالضرورة عن وجهة نظر مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات)

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
تلفون: 44 36 80 1 961 +
تلفاكس: 43 36 80 1 961 +
ص.ب.: 14-5034، بيروت – لبنان

بريد إلكتروني: info@alzaytouna.net **الموقع:** www.alzaytouna.net

يمكنكم التواصل معنا والاطلاع على صفحات المركز عبر الضغط على التطبيقات أدناه:

إخراج
مروة غلاييني

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات 3

التقديم 9

التمهيد 15

الفصل الأول: البداية (1944-1956): 27

دروب البلدة القديمة والحرم الإبراهيمي 27

الخليل والمحيط الخارجي 29

نكبة 1948 29

الحياة المدرسية 30

الفصل الثاني: في صفوف الإخوان المسلمين (1956-1962): 33

بصحبة التكروري 35

النشاط الإخواني 38

المعسكرات شبه العسكرية 40

الشيخ شكري أبو رجب 43

الشيخ شكري وسينما الخليل 44

الفصل الثالث: في طلب الطب (1962-1970): 47

إلى سورية 47

الانتظام في صفوف الإخوان السوريين 49

في ظلال الظلال 51

خلف عصام العطار 53

في بيت السباعي 56

حياتي الروحية في سورية 59
جولات في سورية 62
حرب 1967 63
قواعد الشيوخ 67

الفصل الرابع: انقلاب "قطبي" (1970-1976): 71
سيد قطب في الخليل 71
الأسرة الأولى 73
الكتلة الإسلامية 74
بصحبة عبد المجيد الزير 75
الاتصال بالتنظيم المركزي 76
ناجي صبحة 77
الجمعية الخيرية الإسلامية 78
خروج الدكتور عبد المجيد الزير من الجمعية والجماعة 81
انتخابات بلدية الخليل سنة 1976 82

الفصل الخامس: للطب من جديد (1975-1980): 87
مروان حديد 87
ذكريات في دمشق 88

الفصل السادس: نحو حماس (1981-1989): 93
في الجمعية الإسلامية من جديد 93
زيارة منسق جيش الاحتلال لبيت اليتيمات 94
في صفوف التنظيم الإخواني من جديد 95
المكتب الإداري العام 96

قرار حماس 97
إدارة الانتفاضة واسم حماس 98
العلاقة مع القيادة الموحدة 101
ميثاق حماس 101
الضربة الأولى 102
في الزنزانة 33 104
قصة البيان 43 108

الفصل السابع: ذكريات مرج الزهور (1992-1993) : 111
على تراب لبنان 112
التخييم في مرج الزهور 113
مسيرة العودة 113
كرامات ظاهرة 117
اللجنة الطبية 118
القيادة 119
فطور مع الحرس الثوري الإيراني 120
الرحلات 121
الفلسطيني المختلف 121
الأعياد 121
دعم من إسلاميي لبنان 121
مسيرة الاعتصام على مشارف الوطن 122
مسيرة الأكفان 123
الحمَّام 124
البرميل الأخضر 125

الوداع 126

ملحق الوثائق: 129

الملحق الأول: شهادة رشيد قنيبي 129

الملحق الثاني: ملاحق الوثائق 132

الملحق الثالث: تقرير أعده الدكتور عدنان مسودي حول الوضع الصحي لمبعدي مرج الزهور.....152

تواريخ 154

ملحق الصور 161

إهداء

إلى الذين أثروا الصمت فتجاوزتهم كتب التاريخ:
راضي السلايمة، ناجي صبحة، حسن القيق، سعيد
بلال، ومن سار على دربهم...

التقديم

بقلم: د. عزام التميمي

شرفني الدكتور عدنان مسودي قبيل وفاته بطلب ما كان ليخطر لي ببال، وإنه والله لشرف عظيم. فقد أبلغني إخوة له ولي أعزاء أشرفوا على إصدار هذه المذكرات بأنه كان يرغب أن أكتب تقديماً لكتابه هذا لما بلغه من اهتمامي بتاريخ حركة حماس التي صدر لي عنها كتاب باللغة الإنجليزية سنة 2006 ترجمة عنوانه "حماس فصول لم تكتب"[1] في طبعته البريطانية، و"حماس تاريخ من الداخل"[2] في طبعته الأمريكية. ولا أدري إن كان الدكتور عدنان قد اطلع على الكتاب أم بلغه الخبر عنه فقط. فأنا والدكتور عدنان مسودي لم نلتقِ قط، وكان تواصلنا محدوداً ومقصوراً على اتصال منه رحمه الله، بُعيد عرض سلسلة مراجعات على قناة الحوار الفضائية مع الأستاذ الكبير والقيادي الإسلامي السوري عصام العطار، وذلك أنني أعلنت وقتها عن أنني سأجري مع الأستاذ عصام لقاء مفتوحاً على الهواء بعد انتهاء عرض الحلقات ليستقبل تعليقات وأسئلة واستفسارات المشاهدين.

ورَغِب منِّي الدكتور عدنان، رحمه الله رحمة واسعة، أن أُذَكِّر الأستاذ عصام بأنه حينما كان يخطب الجمعة في مسجد جامعة دمشق كان الدكتور عدنان، الطالب حينها في كلية الطب، يؤذن للصلاة بين يديه. وفعلاً، ذكرت ذلك في الحلقة التي بثت على الهواء، ولعل الدكتور عدنان شاهدها أو بلغه ما ذكر فيها بشأنه، أو لعل ظروفه لم تسمح لا بهذا ولا بذاك؛ فقد قضى رحمه الله جزءاً غير يسير من الأيام الأخيرة من حياته في قبضة السلطة رام الله مغيباً وراء قضبان سجون جهازها الوقائي، وكانت حالته الصحية في تراجع مستمر بسبب ذلك، وبسبب تراكمات أعباء حياة قضاها، سواء في الأسر أم في الإبعاد أم بين الأهل والأحبة داخل الوطن، مجتهداً في الدعوة والجهاد وخدمة الناس. فجزاه الله عن أمته خير الجزاء، وجمعنا وإياه في عليين.

---

[1] Azzam Tamimi, *Hamas: Unwritten Chapters* (London: Hurst & Co., 2009).

[2] Azzam Tamimi, *Hamas: A History From Within* (New York: Olive Branch Press, 2007).

ما من شكّ لدي بعد أن اطلعت على مسودة كتاب الدكتور عدنان مسودي أن كتابي عن حركة حماس كان يمكن أن تثريه إثراءً كبيراً هذه المذكرات لو كانت متاحة لي في أثناء البحث. كنت حينها أشكو من شحّ المعلومات المتوفرة حول تنظيم الإخوان المسلمين في الضفة الغربية ودوره في نشأة حركة حماس. فَجُلّ ما نشر من كتب باللغتين العربية والإنجليزية حتى ذلك الوقت كان مهتماً بالدرجة الأولى بالحراك الإسلامي في قطاع غزة، وما توفر لدي من معلومات حول دور قطاع غزة والخارج الفلسطيني كان أكبر بكثير مما توفر حول الضفة الغربية، على الرغم من أنني أجريت مقابلات مع عدد ممن كان لهم دور فاعل في نشاط حركة حماس في الضفة الغربية أيام الانتفاضة الأولى، وقبل ذلك في أثناء الصراع السياسي بين القوائم الطلابية المختلفة في جامعات الضفة الغربية. لكن مثل هذه المقابلات لم تكن كافية بسبب أن أصحابها قدروا حينها أنه لم يكن من المناسب أن ينقل عنهم بصفاتهم وأسمائهم، لما يمكن أن يسببه ذلك من تداعيات أمنية وسياسية، ولأنهم لم يكونوا يرون مصلحة حينذاك في فتح بعض الملفات، أو التحدث عن بعض الأحداث بشيء من التفاصيل.

تثبت هذه المذكرات، التي أكد صدقيتها ومطابقتها للواقع عدد غير قليل ممن عاصروها وكانوا شركاء في أحداثها، بأن جماعة الإخوان المسلمين في الضفة الغربية مرت إلى حدٍّ كبير بالمراحل نفسها التي مرت بها الجماعة في تشكيلاتها الفلسطينية الأخرى، سواء في قطاع غزة أم في دول الخليج، أم في أقطار العالم الغربي. كما تسلط الضوء بشكل غير مسبوق على بعض أوجه الاختلاف في الاجتهاد بين قادة العمل الإخواني، سواء في قضايا كلية ذات أبعاد استراتيجية أم في قضايا جزئية ذات أبعاد تكتيكية؛ الأمر الذي يؤكد أن حركة الإخوان المسلمين، على الرغم من طابعها الدعوي الديني والإصلاحي الاجتماعي، هي في الدرجة الأولى تنظيم سياسي تسري عليه قواعد العمل السياسي؛ بدليل أن النسبة الأعظم من اختياراته ناجمة عن اجتهادات تحتمل الخطأ والصواب، وتجري عليها، ما تجري على أيّ نشاط بشري، أحكام النقد والمراجعة واستلهام الدروس.

تلك صفة تميزت بها حركة الإخوان المسلمين عن غيرها من الحركات الإسلامية المعاصرة، فعلى الرغم مما يشوبها أحياناً من ضعف أو قصور، وما يمكن أن يقع فيه بعض أفرادها من غلو أو غرور، إلا أنها يغلب عليها بالمجمل الانفتاح على كلّ جديد،

والاستعداد للمراجعة والتجديد. ويعصمها من الانحراف عن خطها الوسطي في فهم الإسلام، والمرونة في الوسائل المُقعِدة له على أرض الواقع، والتزامها بالشورى قدر ما تسعفها الظروف، سواء فيما يتعلق باختيار القيادة أم باتخاذ القرارات. وأقول قدر ما تسعفها الظروف، لأن الإخوان المسلمين في فلسطين، وكذا حالهم في كثير من أقطار العالم العربي، اضطروا رغماً عنهم إلى العمل السري بسبب الملاحقة والاضطهاد، سواء على أيدي الصهاينة أم عملائهم كما هو الحال في فلسطين، أم على أيدي المستبدين الطغاة الفاسدين، كما كان عليه الحال في معظم أرجاء الوطن العربي إلى أن تفجرت الثورات الشعبية التي بات يطلق عليها مجازاً "الربيع العربي".

والعمل السري له آفاته الكثيرة، ولذلك لا يلجأ إليه عاقل إلا مضطراً، ومن آفاته أنه يحول دون تحقيق مستويات معقولة ومقبولة من الشفافية والمراقبة والمحاسبة، وهنا لا تعويض لهذا النقص إلا باعتماد مناهج التربية الصارمة التي تصقل شخصية الفرد، وتشعره برقابة الله عليه في كلّ حين؛ وهنا أيضاً تميز الإخوان المسلمون عن غيرهم، بما يلزمون به منتسبيهم من أسر وكتائب وقراءات وأوراد ونشاطات، تُعين المرء على نفسه وعلى شياطين الإنس والجن.

في مذكرات الدكتور عدنان مسودي إنارات على ذلك كله، بل وعلى أكثر منه، وهي إنارات ملهمة للناشطين العاملين من أبناء الحركة ومحبيها ومناصريها؛ ومثرية لرواد البحث والاستكشاف سواء كانوا أكاديميين أم إعلاميين. وما يزيد في قيمة هذه الإنارات أنها تنتقل بالقارئ من مرحلة إلى أخرى من تاريخ الجماعة في فلسطين، بدءاً بمرحلة النشأة التي كان والده رحمه الله ممن لهم دور مهم فيها، ويذكر مسودي بعض أهم معالمها كما شهدها طفلاً أو شاباً يافعاً، أو ربما سمعها، مروراً بمراحل النضج والانتقال من مستوى العمل الثقافي والاجتماعي إلى مستويات غير مسبوقة من المقارعة والنزال في ساح السياسة والجهاد، كان له فيها أبرز الأدوار، موجهاً، وقائداً، ومربياً.

التمهيد

التمهيد

نحن موتاكم، وللموتى كلام...
أقسموا أن تذكروه،
واسألوا أبناءكم أن يذكروه،
وانقشوه في ضمير الدهر من جيل لجيل...
واحذروا النسيان... فالنسيان موت...
كل ما يُذكر يحيا...
كلما يُنسى يموت[1].

تشكل المذكرات مصدراً أساسياً ومهماً لدارسي التاريخ وطلابه، فهي خزان أساسي لمسيرة التاريخ متجسدة في سيرة فاعليه، ينهل منها ما يكشف المجهول ويفصل المجمل. وما تصفه وتقدمه لا يمكن، في كثير من الأحيان، أن يوجد في مكان آخر. فبالإضافة لما تقدمه من حوادث، تقدم الخلفيات الفكرية والاجتماعية والسياسية التي صنعتها. كما أن هذا الخزان يحوي انطباعات وخواطر شخصية، تشكل بالإضافة لما سبق، ركيزة أساسية للتحليل والفهم والاستيعاب.

في حالة التأريخ لفلسطين المعاصرة تزداد أهمية هذا النوع من المصادر. فالحرب المفتوحة مع الاحتلال الصهيوني أتت على الكثير من تراث فلسطين الوثائقي، الذي كان من الممكن أن يشكل مصدراً أساسياً لدارسي التاريخ المعاصر[2]. ورافق هذا فشل فلسطيني في تأسيس أرشيف وطني جامع[3]. فلم يبق للمؤرخين، في كثير من الأحيان،

---

[1] من قصيدة للشاعر نجيب سرور.

[2] حول التطهير الصهيوني للأرشيف الوثائقي الفلسطيني، والذي رافق التطهير العرقي للبشر، وحاجتنا للمصادر البديلة كالرواية الشفوية والمذكرات في كتابة تاريخ فلسطين المعاصر. انظر: صالح عبد الجواد، "لماذا لا نستطيع كتابة تاريخنا المعاصر من دون استخدام التاريخ الشفوي؟ حرب 1948 كحالة دراسية،" **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 64، 2005، ص 42-63.

[3] تجربة مركز أبحاث منظمة التحرير في جمع الوثائق والمصادر المتعلقة في فلسطين وتهيئتها للباحثين، كانت أبرز الجهود التي بذلت على هذا الصعيد، لكن عمل بشكل مبكر على تخريب هذه التجربة فلسطينياً، وصهيونياً، وكان التفجير والضياع مصير أرشيف المركز ومكتبته. انظر: أنيس صايغ، **أنيس صايغ عن أنيس صايغ** (بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، 2006). وعلى الرغم من الجهود التي تبذلها الكثير من المؤسسات، كالدور التوثيقي لمؤسسة الدراسات الفلسطينية ومركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، إلا أنها لم تستطع ملء الفراغ الذي تركه تغييب مركز الأبحاث.

إلا شتات من الوثائق الفلسطينية، والوثائق الاستعمارية (البريطانية والصهيونية خصوصاً)، هذه الوثائق التي لا يمكن الاعتماد عليها كمصدر وحيد للتأريخ لأنها كتبت لتلبي حاجة المستعمر وتدعم أطروحاته.

تتضاعف هذه الأهمية في حالة التأريخ للحركة الإسلامية في فلسطين، فالحركة الإسلامية، بكل أطيافها، تحولت بعد هزيمة 1967 وسقوط الضفة الغربية تحت نير الاحتلال الصهيوني، إلى النشاط السري، وإن بقيت الكثير من مظاهر نشاطها بادية، هذا التحول دفع كوادر الحركة وقياداتها إلى تعمد إتلاف كل ما يتعلق بنشاطهم من وثائق، لما يمكن أن يشكله وجودها من خطر أمني، لذا يصعب على الباحث في ظلّ ذلك أن يجد أياً من المصادر التي يمكن أن تغني دراسته، وإذا وجد فليست بالأهمية المرتجاة[4].

لكن مع هذا فالمؤرخ للحركة الإسلامية المعاصرة في فلسطين يواجه عدداً من الإشكالات عند قراره اللجوء للمذكرات كمصدر، فبالإضافة للإشكاليات التقليدية التي تعانيها المذكرات كمصدر للتأريخ[5] تظهر مشكلات إضافية، أبرزها

[4] تجمع عدد من الشهادات الشفوية على صدور قرار لكوادر الإخوان المسلمين، ترافق مع اندلاع الانتفاضة الأولى في كانون الأول/ ديسمبر 1987، بحرق كل ما لديهم من مجلات ووثائق خاصة بالعمل الإسلامي، لذا من الصعب العثور على جلّ منشورات الحركة الإسلامية (الإخوان المسلمون، الكتل الإسلامية، حركة الجهاد الإسلامي) المبكرة. لكن يساعد في تعويض هذا الجهد الذي بذلته الحركة الإسلامية في خارج فلسطين لجمع الوثائق ونشرها، وتأريخ مسيرة هذه الحركة، فأصدرت فلسطين المسلمة عدداً من النصوص المبكرة أبرزها وثائق حركة المقاومة الإسلامية – حماس. انظر: المكتب الإعلامي لحركة المقاومة الإسلامية حماس، **وثائق حركة المقاومة الإسلامية** (لندن: منشورات فلسطين المسلمة، [1990-1991])، خمسة أجزاء. وبعد استشهاد الدكتور فتحي الشقاقي أمين عام حركة الجهاد الإسلامي عمل على جمع تراثه ليكون مصدراً مهماً في التأريخ لطيف من أطياف الحركة الإسلامية في فلسطين (حركة الجهاد الإسلامي). انظر: فتحي الشقاقي، **رحلة الدم الذي هزم السيف الأعمال الكاملة للشهيد الدكتور فتحي الشقاقي**، إعداد وتوثيق: رفعت سيد أحمد (القاهرة: مركز يافا للدراسات والأبحاث، 1997)، مجلدين.

[5] أبرز الإشكاليات التي تعانيها المذكرات كمصدر، والتي يجب على الدارس أخذها في عين الاعتبار، وتدفعه للحذر؛ أولاً: ذاتيتها، فهي تعكس شخصية كاتبها وتجربته، وهي مرآة لصاحبها تعكس الأحداث فيكون القطب الذي تلتقي عنده الشخصيات الأخرى. ثانياً: إشكاليات الذاكرة وعدم قدرتها على استرجاع الماضي كما كان، ولا مناص من تغييره في المذكرات بالنسيان المتعمد أو بحكم عملية الاختيار في التذكر، كما أن الذاكرة لا تقتصر على النسيان بل تميل لتجميل الماضي وتبريجه، ورواية الماضي برؤية الحاضر. انظر: خيرية قاسمية، "المذكرات والسير الذاتية مصدراً لتاريخ فلسطين في القرن العشرين،" في عصام ناصر وسليم تماري (محرران)، **دراسات في التاريخ الاجتماعي لبلاد الشام قراءات في السير والسير الذاتية**، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2007)، ص44-66.

الندرة[6]. وبالإضافة لهذا فإنَّ جُلَّ النصوص المنشورة يتمحور حول تدوين تجربة الحركة الإسلامية العسكرية[7]. أما الكتابات العامة فتتمحور حول رواية سيرة

[6] تتعدد الأسباب التي من الممكن أن تكون علة لهذه الندرة، فالحالة الأمنية التي يعيشها قيادات وكوادر الحركة الإسلامية والتي كانت سبباً في منع وجود أرشيف وثائقي في الداخل سبب أساسي في تجنب تسجيل المذكرات، ويظهر أن هذه الحالة هي حالة مشتركة تمنع الكثير من أبناء الحركات الإسلامية في العالم من كتابة سيرهم وتوثيق مسيرتهم. ويشير الباحث حسام تمام رحمه الله في دراسة له بعنوان "لماذا لا يكتب الإخوان تاريخهم؟" إلى أسباب أخرى تمنع التدوين والتوثيق من الممكن القول أنها تنطبق على حالة الحركة الإسلامية في فلسطين، أبرزها:

أولاً: الخشية من استغلال وتوظيف بعض ما يرد في السير والمذكرات لصالح الهجوم الأيديولوجي أو السياسي على الحركة.

ثانياً: طبيعة التكوين الثقافي لكوادر الحركة الإسلامية القائم غالباً على التلقي الشفهي، وهذا يؤدي إلى ندرة في الكتّاب القادرين على الكتابة الاحترافية لسيرتهم وتاريخهم بالمقارنة مع الحركات السياسية الأخرى كاليسارية.

ثالثاً: الفهم الخاطئ لبعض المعاني الإسلامية كالخوف من الرياء واعتبار الكتمان فضيلة، وغياب الاعتقاد بأن في التسجيل والتدوين شهادة لله على التاريخ. ومن المثير هنا أن الإخوان المسلمين لم يقتدوا بفعل مرشدهم الإمام حسن البنا الذي تجاوز اعتبار تدوين سيرته رياء، ودوَّن ذكرياته على الرغم من صغر سنه، وامتثلوا لقوله في مقدمتها "أوصي الذين يعرضون أنفسهم للعمل العام ويرون أنفسهم عرضة للاحتكاك بالحكومات ألا يحرصوا على الكتابة، فذلك أروح لأنفسهم وللناس، وأبعد عن فساد التعليل وسوء التأويل". انظر: حسن البنا، **مذكرات الدعوة والداعية** (بيروت: المكتب الإسلامي، 1974).

رابعاً: إن مشروع الحركة الإسلامية لم يكتمل بعد وغالباً ما يكتب التاريخ لأحداث انتهت أو تمّ تجاوزها.

خامساً: خشية بعض القيادات من أن تدوين سير أو مذكرات يمكن أن تنتقص من دورها. انظر: حسام تمام، "لماذا لا يكتب الإخوان تاريخهم؟،" **تحولات الإخوان المسلمين تفكك الأيديولوجيا ونهاية التنظيم**، ط 2 (القاهرة: مكتبة مدبولي، 2010)، ص 109-118.

[7] اهتمت الحركة الإسلامية في فلسطين، بكافة أطيافها، في تسجيل تاريخ إنجازاتها العسكرية بفترة مبكرة، نسبياً. انظر بيان حركة المقاومة الإسلامية (حماس) 1992/12/14، والذي ألحق به 27 صفحة تسجل أبرز عمليات "مجاهدو فلسطين" الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)؛ وانظر: المكتب الإعلامي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، "ملف في سجل القسام بعض العمليات الجهادية التي نفذها أبطال حركة المقاومة الإسلامية (حماس) ومجاهدو كتائب الشهيد عز الدين القسام،" **فلسطين المسلمة**، ملحق، كانون الثاني/ يناير 1994، ص 1-16؛ وغسان دوعر، **موعد مع الشاباك: دراسة في النشاط العسكري لحركة حماس وكتائب عز الدين القسام خلال عام 1993** (لندن: منشورات فلسطين المسلمة، 1995).

تبع ذلك نشر عدد من المذكرات أبرزها مذكرات الأسير حسن سلامة حول عمليات الانتقام لاغتيال المهندس يحيى عياش. انظر: حسن سلامة، **عمليات الثأر المقدس** (غزة: كتائب الشهيد عز الدين القسام، [2000])؛ ومذكرات الشهيد عوض سلمي، انظر: عوض سلمي، **مذكرات الشهيد عوض سلمي** (رام الله: مركز النور، 2001)؛ ومذكرات الأسير محمد عرمان، انظر: محمد عرمان، **مهندسو الموت** (الخليل: مركز النور، [2006]). ولعل الدافع الأساسي لتأريخ العمل العسكري رغبة القائمين عليه في تعريف إخوانهم على تجربتهم لتجاوز أخطائها، بالإضافة لدور هذا التأريخ في عملية الحشد والتعبئة لصفوف هذا العمل، وبيان دور العاملين فيه من الشهداء والأسرى. يقول حسن سلامة في تقديمه: "السبب الرئيسي باقتناعي لفكرة الكتابة [...] أن هذا العمل ملك للحركة وملك لفلسطين ومن حقّ الجميع الاطلاع على ما حدث وخاصة بعد أن أصبح ما حدث مكشوفاً تماماً وأيضاً هو شيء بسيط أقدمه لإخواني الذين عشت معهم فترة العمل".

الحركة الإسلامية في قطاع غزة أو خارج فلسطين[8]، وتبقى تجربتها في الضفة الغربية على هامش الرواية[9]، من هنا تبرز أهمية هذا النص، الذي سجل فيه الدكتور عدنان مسودي سيرة الحركة الإسلامية في الضفة الغربية عموماً، ومنطقة الخليل خصوصاً.

ولد الدكتور عدنان عبد الحافظ مسودي في مدينة الخليل في 1944/7/30، في بيت من بيوت الإخوان المسلمين، فوالده عبد الحافظ مسودي كان عضواً لأول هيئة إدارية للإخوان المسلمين في الخليل سنة 1949، وترعرع في ظلالهم، إلى أن انتمى في صباه إلى الجماعة، فعاش في أُسَرها، وشارك في نشاطاتها. تواصلت هذه العلاقة، فامتدت من أيام الصبا إلى أيام الجامعة، حيث نشط مسودي في صفوف الإخوان المسلمين في سورية، حيث إنه عندما أنهى دراسته الثانوية توجه لدراسة الهندسة في القاهرة، لكنه سرعان ما غادرها لدراسة الطب في جامعة دمشق، التي وصلها وسورية تعيش لحظات ما بعد الانفصال عن مصر.

---

[8] نشر عدد من النصوص التي يدون أصحابها روايتهم الشخصية لمسيرة الحركة الإسلامية في فلسطين، فسجل الدكتور عبد الله أبو عزة شهادته في نصّ مبكر. انظر: عبد الله أبو عزة، **مع الحركة الإسلامية في الدول العربية** (الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع، 1986)؛ ونشر مركز الزيتونة مذكرات للمهندس إبراهيم غوشة، انظر: إبراهيم غوشة، **المئذنة الحمراء: سيرة ذاتية** (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2008)؛ وعمل مؤخراً مركز التوثيق الفلسطيني في غزة على إصدار كتاب يجمع وثائق ظافر الشوا المتعلقة بنشاط الإخوان المسلمين في غزة قبل سنة 1967، انظر: مركز التوثيق الفلسطيني، **الحاج ظافر خليل الشوا: (1325-1424هـ/ 1908-2003م) أحد أبرز مؤسسي جماعة الإخوان المسلمين في قطاع غزة: مقابلات ووثائق** (غزة: مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني، 2011)؛ وأصدر كذلك مذكرات إسماعيل الخالدي رئيس الإخوان المسلمين في غزة حتى سنة 1967، انظر: إسماعيل الخالدي، **60 عاماً في جماعة الإخوان المسلمين** (غزة: مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني، 2010). كما أن هناك برامج تلفزيونية سجلت شهادات عدد من رموز العمل الإسلامي أبرزها ما سجله الدكتور عزام التميمي في برنامجه "مراجعات"، فسجل شهادة الدكتور عبد الله أبو عزة في خمس حلقات بثت بدءاً من 2010/5/17، وشهادة المهندس إبراهيم غوشة في خمس حلقات بثت بدءاً من 2009/3/16، وشهادة الأستاذ سليمان الحمد في ثلاث حلقات بثت بدءاً من 2010/2/22، كما قابل أحمد منصور الشيخ أحمد ياسين في برنامجه "شاهد على العصر"، وطبع لاحقاً، انظر: أحمد منصور، **الشيخ أحمد ياسين شاهد على عصر الانتفاضة** (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2003). وبالإضافة لهذا فإن هناك عدداً من المقابلات الصحفية التي سجلت شهادات عن تاريخ هذه الحركة، بعضها كان مطولاً ونشر لاحقاً، انظر: خالد مشعل، **حركة حماس وتحرير فلسطين**، حوار غسان شربل (بيروت: دار النهار للنشر، 2006)؛ ورمضان عبد الله شلح، **في عين العاصفة**، حوار غسان شربل (بيروت: بيسان للنشر والتوزيع، 2003). وبعضها كان مقتضباً وقصيراً لا يشفي الغليل لكنه يعد بالمزيد.

[9] لعل مبرر هذا أن المذكرات تعبير عن تجربة صاحبها، وأصحاب الروايات المنشورة محور نشاطهم قطاع غزة أو خارج فلسطين، ولم يكن لأي منهم ارتباط محوري في الضفة الغربية.

وبعد رحلة لطلب الطب تخللها عيش في ظلال الأسر الإخوانية التي تأثرت برؤية سيد قطب، وتجربة روحية صوفية، وهزيمة 1967، وتجربة قواعد الشيوخ، عاد مسودي إلى الخليل سنة 1970 ليطالب قيادة الإخوان المسلمين بالبدء بالعمل العسكري المقاوم للاحتلال الصهيوني، وهو الأمر الذي رفضته قيادة الإخوان المسلمين، ليبدأ مسودي بعدها بتكوين أسرته الأولى التي شكلت لاحقاً تنظيماً موازياً في صفوف الإخوان في الخليل، ارتبط بعد مخاض طويل بالقيادة المركزية للإخوان المسلمين.

بعد استكمال رحلة الطب الثانية التي بدأها مسودي سنة 1976 والتي هدفت التخصص في جراحة الأذن والأنف والحنجرة، واختتمت بمغادرته دمشق على عجل، حاملاً شهادة التخصص، على إثر صدور القانون 49 لسنة 1980، القاضي بالحكم بالإعدام على أعضاء جماعة الإخوان المسلمين في سورية. عاد مسودي ليكون عضواً بالمكتب الإداري العامل للإخوان المسلمين في فلسطين، ممثلاً للأسر الإخوانية في الخليل المنبثقة عن أسرته الأولى والتي شكلت لاحقاً حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، بعد قرار المكتب الإداري العام للإخوان المسلمين، المجتمع في دورا الخليل في 1987/10/23، برئاسة عبد الفتاح دخان، بتغيير استراتيجية الإخوان المسلمين، وتحويلهم من العمل السلبي المقتصر على التنظيم والتربية والإعداد إلى مواجهة الاحتلال الصهيوني.

لم تمر هذه التجربة دون أذى، فاكتوى مسودي بنير قضبان سجون الاحتلال الصهيوني، حين اعتقل أول مرة ضمن الحملة الكبرى التي استهدفت حركة حماس وقيادتها سنة 1989، وتتابعت الاعتقالات التي كان آخرها سنة 2005، وتخلل هذه الاعتقالات إبعاده إلى مرج الزهور سنة 1993 برفقة المئات من قيادات وكوادر حركتي حماس والجهاد الإسلامي. على الرغم من كلّ هذا استمرت مسيرة ودور مسودي القيادي في حركة حماس إلى أن انتخب في السنوات الماضية لرئاسة مجلس شورى الحركة في مدينة الخليل، وتوفي وهو على رأس هذا المنصب، وكان دوره هذا سبباً لاعتقاله عند أجهزة السلطة الفلسطينية الأمنية في 2010/12/6.

رافق هذه التجربة الحركية تجربة موازية في العمل الخيري والاجتماعي والنقابي والمهني، افتتحها مسودي بعضويته للهيئة الإدارية للجمعية الخيرية الإسلامية سنة 1971، وتخللتها عضوية عدد من الجمعيات والنقابات، فكان عضواً في اللجنة الفرعية

لنقابة الأطباء في الخليل خلال الفترة 1972-1975، ولثلاث دورات أخرى، وفي مكتب نقابة الأطباء في القدس 1981-1983، وفي جمعية الجراحين، وفي جمعية الأذن والأنف والحنجرة، كما عمل مسودي رئيساً لقسم الأذن والأنف والحنجرة في مستشفى عالية الحكومي بالخليل، ورئيساً لقسم الجراحات التخصصية فيه، وقائماً بأعمال مديره، ومديراً للبيت الخيري للأيتام، ونائباً لرئيس الجمعية الخيرية الإسلامية، ثم رئيساً لها. وختمت هذه المسيرة بوفاة الدكتور عدنان مسودي في 2011/3/26.

هذه المسيرة والتي محورها تجربة الحركة الإسلامية في الضفة الغربية، وبشكل أعمق تجربة الحركة في الخليل، تشكل نصاً نادراً يفتح أبواباً، شبه مغلقة، لعدد من المحاور التي تهم دارسي تجربة الحركة الإسلامية في فلسطين:

أولها: فهم دور الإخوان المسلمين في الضفة الغربية عموماً وفي منطقة الخليل خصوصاً في العهد الأردني (1949 – حزيران/ يونيو 1967)، ففي النص تسجيل لآليات الاستقطاب ومحاور التفكير، وبرامج الأسر وطبيعة النشاط، ودور الإخوان الاجتماعي والسياسي في الخليل. مع حديث عن تحول الإخوان للنشاط الدعوي بعيداً عن العمل المسلح لإعادة الأرض المحتلة سنة 1948.

ثانيها: فهم أثر النخب الإخوانية الجديدة، صاحبة الخبرة "الوافدة" المتأثرة بالتجارب الإخوانية في البلدان العربية، في تغيير استراتيجية الإخوان المسلمين تجاه الصراع مع الاحتلال الصهيوني.

ثالثها: فهم العوامل الفكرية التي أسهمت في هذا التحول، خصوصاً تأثير الأفكار "القطبية" التي طرحها سيد قطب في "في ظلال القرآن الكريم" وفي "معالم في الطريق"؛ والدكتور مسودي مثال حيّ على هذا الجيل وعلى هذا التأثير.

رابعها: استكشاف دور الضفة الغربية في تأسيس حركة المقاومة الإسلامية (حماس). فعند الحديث عن تأسيس الحركة تتجه الأنظار عادة إلى الروايات التي تتحدث عن دور قطاع غزة وقيادة الإخوان المسلمين في غزة في هذا التأسيس. وتُختصر هذه الرواية أكثر في الحديث عن دور الشيخ أحمد ياسين فقط، مهملة الدور التكاملي للإخوان المسلمين في الضفة الغربية وقطاع غزة وخارج فلسطين في هذا القرار، ونادراً ما تجد

إشارات تؤكد دور الضفة الغربية[10]. لكنها تبقى إشارات مجملة مبهمة بحاجة لتفصيل، فيأتي نصّ مسودي للحديث عن جهد كبير بذل في الضفة الغربية موازٍ للجهد المبذول في قطاع غزة وفي خارج فلسطين من أجل الوصول إلى لحظة الانطلاقة التي قررها بداية المكتب الإداري العام الذي يمثل الضفة وغزة. وفيه حديث عن شخصيات كان لها الأثر الكبير في مسيرة الحركة الإسلامية، أسقطت من الروايات التاريخية، "كلما يُذكر يحيا... كلما يُنسى يموت"، كالحاج راضي السلايمة والمهندس حسن القيق والأستاذ ناجي صبحة والشيخ سعيد بلال وغيرهم.

خامسها: تفاصيل آليات اتخاذ القرار في حركة حماس، ففي النص حديث عن اجتماعات قيادة حماس الأولى، وكيفية صياغة بيانات الانتفاضة ومركزيتها[11]، وعن صياغة ميثاق حماس، وعن الفشل في التنسيق مع القيادة الموحدة حول إدارة الانتفاضة.

لا تقتصر أهمية النص على هذه الجوانب المفيدة لدارسي تاريخ الحركة الإسلامية في فلسطين، لكن هنا كمظاهر أخرى تتجلى فيها أهميته، فهو من النصوص القليلة التي تصف لمحات من الواقع الاجتماعي لمدينة الخليل وسكانها، بعد سنة 1948، فيسرد النص لمحات من الحياة اليومية، وأثر الطرق الصوفية ووجود المسجد الإبراهيمي على تدين أهل المدينة، مع حديث عن أثر بعض الشخصيات والتيارات الدينية والوطنية وغيرها على المدينة، وفيها تأريخ لتجربة أبرز الجمعيات الخيرية العاملة في الخليل، الجمعية الخيرية الإسلامية.

---

[10] "[...] أما أبرز المؤسسين في الضفة فهم الدكتور عدنان مسودة والأستاذ ناجي صبحة والشيخ محمد فؤاد أبو زيد والشيخ جميل حمامي وآخرين"، هذا النص المقتبس من حوار خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) مع غسان شربل والمنشور في صحيفة **الحياة** في 2003/12/6، مثال على أحد الإشارات التي تطرق فيها لدور الضفة الغربية في تأسيس حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وقيادتها، وترد إشارات أخرى في حديث صحفي للشيخ حماد الحسنات حول تجربة الحركة الإسلامية في فلسطين نشرته صحيفة **الرسالة** في 2011/8/25، حين يتحدث عن قيادة حماس في الضفة الغربية "[...] كان مسؤول القدس حسن القيق، والخليل عدنان مسودة، ونابلس سعيد بلال وآخرين...".

[11] هناك بعض الدراسات المبكرة التي تتحدث عن مركزية بيان حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، لكن بالاعتماد على تحليل هذه البيانات، يأتي هذا النص ليؤكد هذه الاستنتاجات، وبهذا من الممكن أن يشكل هذا النص مرجعاً لتقييم الكثير من المواد المنشورة التي تؤرخ للحركة الإسلامية في فلسطين. انظر: صالح عبد الجواد، "فصائل الحركة الوطنية الفلسطينية في الأراضي المحتلة وشعارات الجدران،" **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 7، 1991، ص 87-101.

لكن مع كلّ هذا يعاني النص من مشكلة واجهتها النصوص الأخرى المتعلقة بالحركة الإسلامية، فمحور النص تجربة الحركة في الخليل أساساً. وكان من الممكن أن يتجه النص للحديث عن تجربة الحركة الإسلامية في الضفة الغربية بشيء من التفصيل، خصوصاً أن موقع مسودي في المكتب الإداري العام كان يسمح له بالاطلاع على هذه التجربة عن قرب. كما أن النص يتجه، في كثير من الأحيان، ليكون سيرة الحركة الإسلامية لا سيرة مسودي، فلا حديث في النص، غالباً، عن سيرته العائلية، أو العملية أو الاجتماعية، وهي جوانب كان من الممكن أن تضيء للدارس العتمة عن شخص مسودي وبيئته.

لعل هذا عائد لآلية صياغة النص، فقد تمت صياغته في فترات زمنية مختلفة، كتب أولها في شهر آذار/ مارس 2006 ليكون نواة تأريخ للحركة الإسلامية في الخليل، وأتبع بعدد من الكتابات الأخرى ذات المواضيع المختلفة. وبعد اطلاع المحرر على هذه النصوص عمل على استكمالها بعدد من الحوارات تمت في شهر تشرين الثاني/ نوفمبر 2010، هدفت لتوضيح المبهم وتفصيل الموجز. وقد حاول المحرر خلالها أن يحفظ لمسودي استقلاله الذاتي، لكن هذا الحرص كان يخرقه، أحياناً، حرص المحرر على إرضاء فضوله، كالحديث عن بعض اللمحات الاجتماعية عن الخليل، كما رآها مسودي في طفولته وصباه.

غطت هذه الحوارات ذكريات مسودي حتى عودته من دمشق بعد تخصصه في جراحة الأذن والأنف والحنجرة، ولم يستطع المحرر استكمالها لتغطية الفترة المتبقية، وذلك لظروف مسودي الصعبة والتي كان آخرها اعتقاله لدى أجهزة أمن السلطة الفلسطينية، وما تبعه من تراجع لحالته الصحية، والتي أدت إلى وفاته رحمه الله. هذا يمكن أن يؤدي إلى وجود غموض أو اقتضاب في بعض القضايا، لكن هذا لا ينقص من أهمية حديث مسودي عن هذه الفترة، لكنه يزيد التحدي أمام المهمتين، فما أوجزه مسودي وسرده بجرأة غير معهودة، يكشف الكثيرمن الخفايا وبحاجة لمزيد من الجهد لكشف تفاصيله.

ولم تكن وفاة مسودي مانعاً لإتمام هذه الحوارات فقط، فالرغبة كانت أن يتم إعداد النسخة المحررة في حياته ليراجعها بصورة نهائية، فعمل المحرر جهده ليتم ذلك لكن قضاء الله كان غالباً، وكان من شأن هذه المراجعة ملء الثغرات. وربما كان من شأنها

أن تدفعه لتجاوز الإشكاليات السابقة الذكر، وللتقديم للنص بتحليل لأسباب تحوله الفكري من "معالم قطب" إلى "دعاة الهضيبي". ورؤيته وتقييمه لذكرياته ولمسيرة الحركة الإسلامية.

في النهاية لا بدّ من الإشارة إلى أن جهد المحرر اقتصر على صياغة النص في صياغته النهائية، دون المساس بالمعنى الذي أراده صاحب النص، والابتعاد عن حذف أي جزء منه، مع وضع العناوين الرئيسية والفرعية، والتي تحمل قراءة المحرر وفهمه للنص ولا تعبر بالضرورة عن قراءة وفهم صاحبه. وقام المحرر بترتيب الروايات في سياق زمني وموضوعي واحد، ووضع الحواشي التوضيحية، والترجمة لجميع الشخصيات الواردة في النص، بقدر الاستطاعة، لتكون عوناً للقارئ. ووضع المحرر عدداً من الملاحق الوثائقية المتعلقة بالنص وصاحبه، كما قام بإعداد ملحق "تواريخ" يفهرس الأحداث الواردة في النص أو ذات العلاقة، وملحق للصور.

ختاماً، لا بدّ من التأكيد على شكر أسماء عدنان مسودي، التي كان لعونها ولصبرها الأثر الكبير في صدور هذا النص، كما لا بدّ من توجيه الشكر لكل من أسهم في إمداد المحرر بتراجم وسير وصور ذويهم. آملين أن يكون هذا الإصدار مقدمةً لإصدارات قادمة تنشر نصوصاً مجهولة تسهم في توفير مادة أولية حول الحركة الإسلامية في الضفة الغربية قبل سنة 1987، تساعد المؤرخين والمحللين في قراءة سليمة لهذه التجربة.

والله ولي التوفيق.

المحرر

تشرين الأول/ أكتوبر 2011

Towards Confrontation: Memoirs of Dr. Adnan Maswady Regarding the Muslim Brotherhood in the West Bank & the Founding of Hamas

Edited by:

Bilal Mohammad

هذا الكتاب

تسلط هذه المذكرات الضوء على الإخوان المسلمين في الضفة الغربية وتأسيس حركة حماس، وعلى بعض أوجه الاجتهاد في العمل بين قادة الإخوان في الضفة الغربية في القضايا المختلفة. وتُظهر المذكرات أن حركة الإخوان المسلمين، تميزت عن غيرها من الحركات الإسلامية المعاصرة بالانفتاح على كل جديد، والاستعداد للمراجعة والتجديد؛ وأن التزامها بالشورى يعصمها من الانحراف عن خطها الوسطي.

وينتقل الدكتور مسودي في مذكراته بالقارئ من مرحلة إلى أخرى من تاريخ الجماعة في فلسطين، بدءاً بمرحلة النشأة التي كان والده ممن لهم دور مهم فيها، مروراً بمراحل النضج والانتقال من مستوى العمل الثقافي والاجتماعي إلى مستويات غير مسبوقة من المقارعة والنزال في ميدان السياسة والجهاد؛ حيث كان له فيها دور بارز، موجهاً، وقائداً، ومربياً.

وبلا شك، فلا غنى عن هذا الكتاب لكل المعنيين بالدراسات الفلسطينية، وبالتاريخ الفلسطيني المعاصر، وخصوصاً تاريخ جماعة الإخوان المسلمين.

ISBN 978-9953-572-17-8

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations
ص.ب.: 5034-14 بيروت – لبنان
تلفون: 644 803 1 961+ | تلفاكس: 643 803 1 961+
info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت